دار الكتب المصرية

رسالتها ونهضتها الحديثة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

«ورد إلى رئيس تحرير المقتطف سؤال من بعض قراء المقتطف يسألونه عن دار الكتب المصرية وما أخرجته من مطبوعات، والرسالة التي أدتها إلى العالم العربي — وخاصة ما قامت به في نهضتها الحديثة، وهل في نيتها إعادة طبع المطبوعات التي نفدت منذ سنين».

والمقتطف لا يسعه إلا أن يتتبع الحركة العلمية والأدبية لهذه الدار وخاصة في عهدها الأخير فيقول : —

«نشأة الدار» بعد أن عُيِّن علي مبارك باشا مديراً للمدارس عرض على مسامع المغفور له الخديوي إسماعيل باشا مشروع إنشاء «كتبخانة» كبيرة تحفظ فيها المصاحف الشريفة والمخطوطات النفيسة التي كانت لا تزال باقية في شتى مساجد القاهرة ومدارسها وغيرها من الأماكن التابعة لديوان الأوقاف، وذلك صيانة لها من أن تعدو عليها العوادي التي ذهبت بالجزء الأعظم منها من قبل. فوافق اسماعيل باشا العظيم على مشروعه. ولما أتم علي مبارك باشا كل شيء عرض الأمر ثانية بصفة رسمية فأصدر الخديوي «إرادة سنية» في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ الموافقة (٢٣ مارس سنة ١٨٧٠) تقضي بانشاء كتبخانة تتسع لثلاثين ألف مجلد «وتوقف على المنفعة العامة».

«وألحق بها قسم للأجهزة الطبيعية والآلات الهندسية والرسومات وأدوات الهندسة وغيرها مما يلزم للاشغال كما ألحق بها ما يسمى الآن صالة محاضرات عامة سرعان ما تطورت وأصبحت نواة «لدار العلوم». ولشدة اهتمام اسماعيل العظيم بالمكتبة اشترى لها من ماله الخاص الكتب التي خلفها المغفور له أخوه مصطفى فاضل باشا وقدمها الى الكتبخانة

«هدية خالصة منه» فكانت هذه الكتب كلها نواة القسم العربي والشرقي بالدار.

﴿مقر الدار﴾ وكان مقر «الكتبخانة» عند إنشائها في شارع درب الحمامز في قصر مصطفى فاضل باشا حيث كانت المدارس الأميرية ودواوين المعارف والأشغال والأوقاف، ووضعت في مكان تجاه سلاملك القصر الذي كان يشغله ديوان المعارف. وبعد أن ضاق المكان بما أضيف اليه من كتب، وخيف على المخطوطات أن تتلفها الرطوبة، نقلت الى السلاملك بعد أن انتقل منه ديوان المعارف. ولبثت فيه إلى أن تمّ إنشاء دار جديدة لها وللآثار العربية التي وضع أساسها سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ونقلت اليه سنة ١٩٠٤م ولا تزال فيه الى اليوم، إلى أن يحين إنشاء مبنى فسيح لها يتناسب مع ثقافة البلاد ومركزها العلمي، ويحقق لها بعض ما تصبو اليه منهما.

ويسرنا أن ننشر على صفحات المقتطف ما وصلت اليه دار الكتب الملكية المصرية في نهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالي العالم الجليل الأستاذ أمين مرسي قنديل بك، لتكون أعماله الصالحة التي قام بها في نهضة الدار مثالاً يحتذى في الجدّ والنشاط والعمل الدائم والانتاج المثمر.

ظهرت بدار الكتب المصرية في عهد مديرها الحالي نهضة مباركة في أعمال صالحة ومشروعات مفيدة ستجعلها بعد ان ظلت سنين متمادية راكدة مبعث النور ومهبط العرفان وتصبح منهلاً سائغاً للقاصد، ومورداً عذباً لكل طالب ومكتباتها القومية التي أنشئت في عهده الزاهر يؤمها طلاب العلم ويقصدها محبو البحث والتنقيب ليرتشفوا من مناهل كتبها النادرة المثال

لقد خطت الدار خطواتها الواسعة في هذا السبيل وأبرزت للملأ من جليل الأعمال، ولا سيما ما نشرت من مطبوعاتها النفيسة — ما فيه سرعة إرتقاء للآداب والعلوم، ونشر الثقافة الاسلامية

والفضل في كل هذا يرجع إلى الجهود الجبارة التي يبذلها قنديل بك فهو واسع علمه وخبرته العظيمة وشهرته في علم النفس قد هيأ الدار أسباب النجاح وهذه النهضة المباركة، ونذكر بعض ما نهضت به الدار في عهده

١ — ﴿المطبوعات﴾ أتمت الدار الجزء ١٧ ـ ٢٠ من تفسير القرطبي ـ والجزء ٢ و٣ من شرح أشعار الهذليين — والجزء ١ — ٤ من فهرست الخزانة التيمورية — والجزء العاشر من النجوم الزاهرة — وشرح ديوان كعب بن زهير — وديوان سحيم — والجزء الخامس

عشر من نهاية الأرب — والجزء الأول من إنباه الرواة للقفطي — والجزء الأول من فهرست مؤلفات ابن سينا . علاوة على الكتب التي تجري طبعها الآن والتي ستكون في تناول يد الجمهور بعد بضعة أشهر وهي : —

الجزء الأول من المنهل الصافي لابن تغري بردي ويقع في ثمانية مجلدات وإعادة طبع الجزء الأول والرابع من كتاب الأغاني — والجزء السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من كتاب نهاية الأرب — ومن الجزء ١٢ — ٢١ من كتاب الأغاني لتظهر دفعة واحدة بعد أن وزع أجزاءها للمراجعة على صفوة العلماء المعروفين بغزارة العلم وسعة المادة في الشعر والأدب .

وقد بذل جهده في ندب بعض حضرات الأساتذة للاستعانة بهم في تصحيح بعض أجزاء الأغاني لانجازها في أسرع وقت ، بعد أن مضى على إذن طبعه نحو ربع قرن — وأعانه على ذلك العالم الجليل والمفكر الكبير زعيم الأدباء معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، فأصدر أمره بنقل حضرات الأساتذة المنتدبين الى الدار بصفة دائمة لاتمام هذا العمل الجليل .

ونعتقد أن هذا المجهود العظيم ليس بالهين أو السهل إذا قورن بما كان يخرجه القسم الأدبي من المطبوعات في العهود السابقة .

٢ — ﴿ المكتبات الفرعية ﴾ كان للمدير الحالي الفضل الأول في انشاء المكتبات الفرعية منذ كان وكيلاً للدار سنة ١٩٤٦ ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون افتتاح هذه المكتبات على يديه وأصبح عددها الآن سبع مكتبات تحوي ٢٩٥٠٠ مجلد، ولا يزال يعمل بجد ونشاط لافتتاح مكتبات أخرى لنشر العلم والثقافة عن طريق تعميم هذه المكتبات في كل مكان آهل بطلاب العلم والتلاميذ ، وكل محب للاطلاع، وهي أمنية طالما نادى بتحقيقها العلماء لافادة أبناء الشعب، ولم تحقق إلا بالعزم الصادق والارادة القوية والعمل الدائم والنشاط .

وهذا بيان عن المكتبات الفرعية : —

تمشياً مع حركة نشر الثقافة وتقريب الكتاب من المطالعين ومساهمة من الدار في تعليم الكبار وتمكيناً لها من نشر رسالتها، وضعت الدار خطة تقضي بضرورة وجود مكتبة في كل حيّ من أحياء القاهرة ، وفي كل مدينة أو مركز ليس فيها مكتبة عامة ،

وذلك على أساس أن تكفي المكتبة حاجة عدد معين من السكان ، وهذا العدد يقل كلما قلّت نسبة الأمية .

وقد إستطاعت الدار أن تنشيء في السنتين الأخيرتين سبع مكتبات فضلاً عن مساهمتها في إدارة مكتبة الأميرة فريال في مصر الجديدة والاشراف على سائر مكتبات الأقاليم وهذه الفروع هي : —

الظاهر — الزيتون — حلوان — شبرا — الفن — مبرة الملك فؤاد — الفاروقية . وهي تسعى بهمة مديرها الحالي لانشاء مكتبة في بنها . ويلاحظ إن هذه المكتبات الفرعية تقع في الأحياء المزدحمة بالسكان مثل : شبرا ، والظاهر ، والخليفة . أو في أطراف القاهرة مثل : الزيتون ، وحلوان وكلها في أدوار أولى وقريبة من المواصلات العامة ، وهي كلها في مبان مؤجرة . ولعل الدار توفق في وقت قريب إلى أن تكون هذه المكتبات الفرعية في مبان خاصة تبنى لها على أحدث طراز .

٤ — ﴿ مساهمة الدار في الحركات الثقافية الدولية ﴾ ساهمت الدار في الإجتماع الخامس عشر لجمعية المكتبات الدولية الذي عقد في مدينة بال بسويسرا في المدة من ١١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٤٩ ، كما اشتركت بمعروضاتها في المعرض الزراعي العام الذي أقيم في القاهرة في شهر مارس سنة ١٩٤٩ وقد نالت هذه المعروضات جائزة الشرف الأولى . واشتركت أيضاً في معرض (مصر — وفرنسا) بمخطوطاتها النادرة ذات الطابع الفني ، وكذلك بنماذج فنية من تجليد مطبعتها فحازت إعجاب زائري المعرض من الفنانين وغيرهم ونالت معروضاتها هذه ميدالية من المعرض المذكور .

هذا وقد ساهمت الدار في الإحتفال الذي أقيم بمناسبة مرور مائة عام على وفاة المغفور له محمد علي باشا الكبير فأقامت معرضاً للكتب التي طبعت في عهده ونسقته بشكل يبين تقدم الطباعة والنشر في البلاد في ذلك الحين والجهود التي بذلها محمد علي في شتى نواحي الحياة العلمية والثقافية في البلاد .

٥ — ﴿ نشرات الدار ﴾ كانت الدار منذ عهد بعيد تصدر نشرات شهرية تطبع على الجاستنر ثم انقطع عملها فقرر حضرته إعادة طبع هذه النشرة بالعربية والأفرنجية لسنتي ٩٤٨ و ٩٤٩ كل سنة على حدة .

وكذلك إهتم بتزويد قسم التصوير والفوتستات بآلتين فائقتين للمخطوطات التي تؤخذ على الميكروفيلم وتكبيرها .

٦ — ﴿الاحصاء السنوي لرواد الدار وكتبها لسنة ١٩٥٠﴾ تردد على دار الكتب وأقسامها المختلفة ١٤٠٦٠٠ ، وعلى فروعها ١٢٠١١٩ فيكون مجموع الرواد ٢٦٠٧١٩

الكتب : (ا) وبلغ عدد الكتب التي صرفت للمطالعة داخل الدار ٣١٤٧٥٢

(ب) والتي أعيرت خارج الدار هي وفروعها ٥٠٤٠٢ فيكون مجموعها ٣٦٥١٥٤

(حـ) وبلغ عدد ما اقتنته الدار من الكتب ٢٢٨٨٤ منها : ١٥٩٢٨ مجلداً باللغة العربية واللغات الشرقية و٦٩٥٦ مجلداً باللغات الأوربية . وتدل الاحصاءات على أن إقبال المطالعين على المواد المختلفة سار وفق ما يأتي : —

الأدب والقصص — التاريخ والجغرافيا — العلوم الاجتماعية — العلوم البحتة — العلوم والفنون التطبيقية — الفلسفة وعلم النفس — الفنون الجميلة — المراجع العامة — الدوريات — اللغات .

٧ — ﴿ثروة الدار﴾ ومقارنة حركة الكتب التي وردت للدار في الست السنوات الأخيرة بين عربية وأفرنجية يتبين منها مدى تقدم الدار ونهضتها وإلى القارىء الاحصاء :

ورد للدار في سنة ١٩٤٥ — ٤٨١٧ مجلداً وفي سنة ١٩٤٦ — ٤٦٨٣ مجلداً وفي سنة ١٩٤٧ — ٦٨٩٢ مجلداً وفي سنة ١٩٤٨ — ٧٥٤٤ مجلداً وفي سنة ١٩٤٩ — ٩٥٣٣ مجلداً وفي سنة ١٩٥٠ — ١١٨٤٣ . هذا ما ورد للدار في السنوات الست المذكورة . ولا يسمع عن كتاب نادر مخطوط محرومة من اقتنائه الدار إلا ويبذل كل ما في وسعه للحصول على أخذ صورة منه بالتصوير الشمسي ليحفظ بها ، لا سيما الأوراق البردية . فقد علم أن مكتبة ما تشتمل عدة أوراق بردية يرجع كتابتها إلى القرن الأول للهجرة فبذل كل ما في وسعه لأخذ صورها الشمسية لحفظها بالدار وهي لا تقل عن ٢٧٠ ورقة .

٨ — ﴿فهارس المخطوطات﴾ النادرة المثال العزيزة المنال محفوظة بدار الكتب بدون فهارس وافية تسهل للباحثين ما ينشدونه في ثنايا سطورها سنين طويلة فأسند إلى لفيف من موظفي الدار ممن عرفوا بالجد والنشاط والمثابرة والجلد والانتاج إلى عمل فهارس شاملة لتلك المخطوطات لافادة العلماء والباحثين مما حوته

هذا بعض ما نذكره على سبيل المثال ، من رسالة دار الكتب المصرية ونهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالي الأستاذ أمين مرسي قنديل بك لتحقيق ما يرجوه للدار من خير والنهوض بها ومكتباتها الفرعية الى المستوى الجدير بها حتى تضارع أكبر مكتبات أوربا في ظل جلالة الملك المفدى « فاروق الأول »

حفظه الله .